كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م

دار
الرشد للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
ص . ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤
تلكس ٤٠٥٧٩٨ رشد اس . جي
تلفون ٤٥٨٣٧١٢ ـ ٤٥٩٤٤٧٢

كتاب التوحيد

وإثبات صفات الرب عزّ وجلّ

تأليف

إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة

٢٢٣ - ٣١١هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان

الجزء الأول

دار الرشد
الرياض

أ

1
Kay
Tas

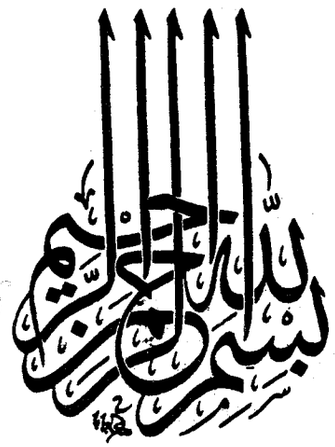

قال الله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

تصـــدير

بقلم فضيلة الدكتور الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء وعضو

هيئة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين، جعل العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين. ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وصلى الله على نبينا محمد القائل: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». وسلم تسليما كثيرا.

أمـا بعـد: فإن أجل العلوم وأصل الأصول هو علم التوحيد الذي موضوعه معرفة الله تعالى بآياته وأسمائه وصفاته، والقيام بعبوديته. وإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال. وتنزيهه عما نزه عنه نفسه أو نزهه عنه رسوله من صفات النقص والعيب. والرد على من انحرف عن هذا الأصل فعبد غير الله أو أشرك في عبادة الله. أو حرف أسماء الله وصفاته بالتأويل وسلك مسلك التعطيل والتمثيل، وبيان هذا الأصل والدعوة إليه والرد على من انحرف عنه أو حرف فيه هو وظيفة الرسل صلوات الله وسـلامـه عليهم أجمعـين، وهـو أيضـا وظيفة خلفاء الرسل ووارثيهم وهم العلماء العاملون فقد كان في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى. ويبصرون أهل العمى، ويصبرون منهم على الأذى. ومن هؤلاء العلماء: إمام الأئمة الإمام الحافظ: أبو بكر محمـد بن إسحـاق بن خزيمة من علماء القرن الثالث الهجري.. وأحد الفحـول الفـطاحل ـ فقد شهد له علماء عصره وشيوخه وتلاميذه بالحفظ والعلم والفقه والقدرة على الاستنباط ـ قال عنه الحافظ ابن كثير: (كان بحرا من بحور العلم. طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم،

فكتب الكثير وصنف وجمع، وهو المجتهد في دين الإسلام) ـ انتهى ـ وهذا العالم الجليل والإمام الفحل قام بدور كبير فقد شارك في بيان العقيدة الصحيحة وذب عنها ورد على من ألحد في أسماء الله وصفاته من الجهمية والمعتزلة وتلاميذهم من الأشاعرة والماتوريدية وأضرابهم من أفراخ المعطلة. وذلك في كتابه العظيم الذي سماه: «كتاب التوحيد، وإثبات صفات الرب عز وجل» وقال في مقدمته:

(كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث من لعله كان يحضر مجالس أهل الزيغ والضلالة من المعطلة والقدرية المعتزلة ما تخوفت أن يميل بعضهم عن الحق والصواب من القول إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم.. فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد. والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جل وعلا مما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.. وبما صح وثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا إليه صلى الله عليه وسلم ليعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله لإدراك الحق والصواب ومن عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين من العلم وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع. الذين هم في ريبهم وضلالتهم يعمهون) انتهى ما وصف به هذا الكتاب وهو وصف يطابق موصوفه. فهو كتاب يمتاز باعتماده على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة ـ ثم إن مؤلفه من الحفاظ المحدثين يروي الحديث بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال إنه يحتج لذلك (بما صح وتبين عن نبينا صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا إليه صلى الله عليه وسلم).

وهذه ميزة عظيمة فهو لا يقتصر على مجرد النقل عن غيره. لأنه من الرواة الحفاظ النقاد الذين يختارون مما يروون ماهو أصح وأثبت. ثم هو من متقدمي علماء السنة ومن طبقة الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم فتخريجه للحديث يعتمد عليه ويوثق به ولاسيما في نصوص الصفات وأدلة العقيدة، وإن مؤلفا كهذا وفي هذا الموضوع المهم مما حدى بأخينا فضيلة الدكتور الشيخ: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان إلى اختياره ليكون موضوعا لرسالة الدكتوراه ليقوم بدراسته وتحقيقه وإخراجه بالمظهر اللائق به ليسد ثغرة في المكتبة الإسلامية. ويكون مرجعا لأهل التوحيد. وسلاحا يشهرونه في وجوه أعداء العقيدة السلفية من المعطلة والمبتدعة ـ فقام جزاه الله خيرا بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه وإخراج نسخة صحيحة موثقة لأصله. وبذل في سبيل ذلك الكثير من الجهد. وصرف فيه الطويل من الوقت. وأفرغ فيه الكثير من المجهود العلمي ـ وتلخص عمله فيما يلي:

١ ـ دراسة حياة المؤلف وبيان مكانته العلمية وما يتحلى به من الصفات الجليلة.

٢ ـ ثم قدم دراسة تمهيدية عن الكتاب ومنهج المؤلف فيه وما قد يستدرك عليه.

٣ ـ تقويم الكتاب وبيان ما فيه من فائدة علمية تجعله من أمهات المصادر في موضوع العقيدة.

٤ ـ تحقيق نص الكتاب، ودراسة مافيه من الأسانيد، وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث.

٥ ـ بيان وجه الاستدلال من النصوص التي قد يسوقها المؤلف ولا يبين وجه الاستدلال منها بل يكتفي بسياقها تحت الترجمة.

٦ - مناقشة المؤلف في بعض الآراء التي له فيها وجهة نظر خاصة قد لا تكون مسلمة له مثل رأيه في حديث: (خلق الله آدم على صورته) وتفسيره لقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وغير ذلك.

٧ - توضيح الغامض وإعطاء فكرة مختصرة عن الفرق والنحل التي يمر ذكرها في الكتاب.

٨ - ترقيم الأحاديث بأرقام تسلسلية مما يسهل على القارىء الرجوع إليها عند الحاجة - إلى غير ذلك من العمل المجدي في خدمة الكتاب الذي بلغ مجموع ما يحويه من النصوص قرابة سبعمائة وخمسين من الأحاديث والآثار - وكل واحد من هذه النصوص على كثرتها يحتاج إلى عمل خاص مما يجعل العبء ثقيلا والعمل شاقا - ولكن مع العزم الصادق والنية الصالحة يسهل الله كل صعب: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره﴾ ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾. وهذا ما حصل من فضل الله لأخينا الدكتور عبدالعزيز نحو هذا الكتاب فقد قام بعمل لا يستطيع القيام به إلا جماعة من ذوي اختصاصات مختلفة حتى أظهره بالمظهر اللائق الذي يوفر على الناظر فيه كثيرا من الجهد ويسهل عليه الاستفادة منه بأسرع وقت. حتى صار عمله هذا بحق نموذجا يحتذى في اخراج أمثاله من كتب أسلافنا - فجزاه الله خيرا وزاده من العلم النافع والعمل الصالح - كما أننا نستحثه على مواصلة هذا الجهد في إخراج كتب أخرى من كتب سلفنا هي بحاجة إلى مثل هذا العمل لينتفع بها المسلمون - فان هذا من أولى ما تصرف فيه الطاقات والأوقات.

ونسأل الله عز وجل أن يعز دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه - واذا كان المبتدعة والضلال وأصحاب النحل الفاسدة الآن جادين في اخراج تراثهم العفن ونشركتبهم الفاسدة وترويج أفكارهم الضالة وتدعمهم منظمات الكفر والالحاد - فإن على أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية أن ينشطوا لاخراج كتب العقيدة الصافية وفقه الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح ليكون ذلك سلاحا بأيدي الدعاة إلى الله والمدافعين عن الحق يدحضون به كل شبهة ويدمغون به كل باطل ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه: صالح بن فوزان ابن عبدالله الفوزان